

تفسير ابن كثير

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ

ينبه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم ، ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس ، وما هو منطوق عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ، ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه ، فقال تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا) وهذا كقوله تعالى : (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة) الآية [الحجر : 28 - 30] ، وذلك أنه تعالى لما خلق آدم ، عليه السلام ، بيده من طين لازب ، وصوره بشرا سويا ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيما لشأن الرب تعالى وجلاله ، فسمعوا كلهم وأطاعوا ، إلا إبليس لم يكن من الساجدين . وقد تقدم الكلام على إبليس في أول تفسير "سورة البقرة" وهذا الذي قرناه هو اختيار ابن جرير : أن المراد بذلك كله آدم ، عليه السلام . وقال سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ،

عن ابن عباس : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) قال : خلقوا في أصلاب الرجال ،
وصوروا في أرحام النساء . رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه
ونقله ابن جرير عن بعض السلف أيضا : أن المراد بخلقناكم ثم صورناكم : الذرية . وقال
الربيع بن أنس ، والسدي ، وقتادة ، والضحاك في هذه الآية : (ولقد خلقناكم ثم
صورناكم) أي : خلقنا آدم ثم صورنا الذرية . وهذا فيه نظر؛ لأنه قال بعده : (ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم) فدل على أن المراد بذلك آدم ، وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه
أبو البشر ، كما يقول الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه
وسلم : (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى) [البقرة : 57] والمراد :
آبائهم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام ولكن لما كان ذلك منة على الآباء الذين
هم أصل صار كأنه واقع على الأبناء . وهذا بخلاف قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من
سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) [المؤمنون : 12 - 13] فإن المراد منه
آدم المخلوق من السلالة وذريته مخلوقون من نطفة ، وصح هذا لأن المراد من (خلقنا
الإنسان) الجنس ، لا معينا ، والله أعلم .